التواصل الحضاري من خلال نقش أثري للملك رمسيس الثالث المكتشف بواحة تيماء في شمال غربي المملكة العربية السعودية

محمد بن عائل الذيبي

ملخص: يهدف البحث إلى إلقاء أضواء جديدة على مكانة تيماء وأهمية دورها في التواصل الحضاري بين الجزيرة العربية، بصفة عامة، ومنطقتها الشمالية الغربية، بصفة خاصة، من ناحية، وبين الحضارة المصرية القديمة من ناحية أخرى. كما يلقي مزيداً من الأضواء على الطرق التجارية ودورها المهم في حياة سكان الجزيرة العربية؛ فقد كانت عاملاً فاعلاً ومؤثراً ضمن عدة عوامل ساعدت على قيام ونشأة المدن والممالك العربية، سواء في شمالي الجزيرة العربية، أو في جنوبها وفي شرقها. حيث استفادت الجزيرة العربية من الانتعاش الاقتصادي من جراء شبكة الطرق التجارية المترابطة التي تربط بين مدنها، وكذلك التي تربطها بالحضارات المجاورة في الشرق الأدنى القديم؛ والتي كانت من ضمنها الحضارة المصرية القديمة في وادي النيل. ويتناول البحث هذا الموضوع من خلال دراسة النقش الهيروغليفي المكتشف حديثاً في الجزيرة العربية على واجهة صخرية بالقرب من واحة تيماء، والذي يعود للقرن الثاني عشر قبل الميلاد. فهو يسجل لقبين للملك رمسيس الثالث ثاني ملوك الأسرة العشرين في الدولة الحديثة من تاريخ مصر القديمة، وما يمثله من بعد وعمق للتواصل الحضاري بين الجزيرة العربية والحضارة المصرية القديمة.

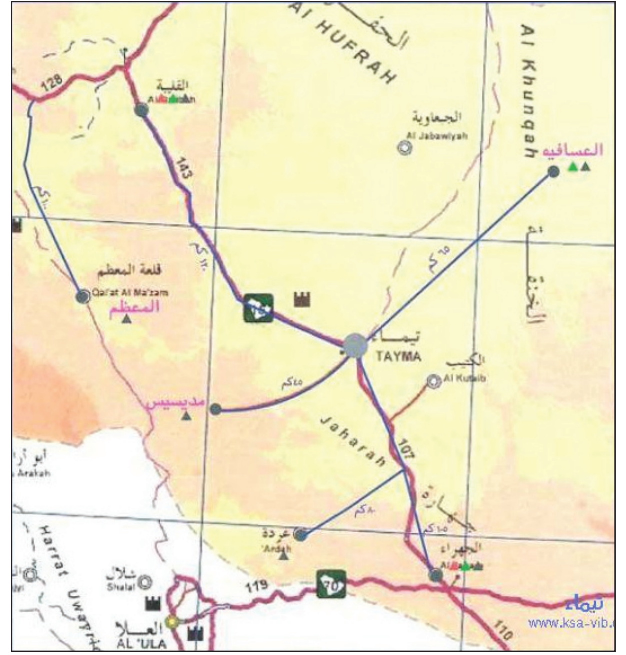
Abstract: *This research aims to shed new lights on the status of Tayma and its significant role in cultural communication between the Arabian Peninsula in general and its North-Western area in particular on one hand and between the Ancient Egyptian Civilization, on the other hand. It also sheds more lights on the net of trade routes and its significant role in the life of the inhabitants of the Arabian Peninsula, as those routes were an effective and influential factor that contributed to the rise and growth of cities and Arabian Kingdoms in North, South and East Arabia. The Arabian Peninsula benefitted from the flourishing economy because of the interconnected trade routes which link its cities to neighboring civilizations in the Near East, especially the Ancient Egyptian Civilization in the Nile Valley. The paper highlights this issue through the study of the 12th century B.C. Hieroglyphic inscription recently discovered in the Arabian Peninsula on a rock façade near the Oasis of Tayma. The inscription records two titles of King Ramses III, second king of the twentieth dynasty in the Modern Kingdom of the history of Ancient Egypt. The essence of these facts represents the deep intercommunication between the Arabian Peninsula and the Ancient Egyptian Civilization.*

اللمحتان الجغرافية والتاريخية:

تقع واحة تيماء القديمة على خط الطول َ٢٩ ً٣٨ شرقاً، ودائرة العرض ٣٨ ٢٧ً شمالاً على الحافة الغربية لصحراء النفوذ الكبرى، وتحتل موقعاً إستراتيجياً مهماً وجزءاً فريداً من واحة كبيرة عرفت باسمها في شمال الجزيرة العربية، وتقع تقريباً على بعد ٢٠٠كم جنوب شرقي تبوك، وتشغل مساحة قدرها ٢كم٢. وتحيط بها الأراضي الزراعية من ثلاث جهات؛ وهي الشرقية والغربية والجنوبية، وجزء من الجهة الشمالية، سور المدينة القديمة الذي يمتد لمسافة تبلغ تقريباً ٨ كم (خارطة: ١). (دار الدائرة١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م: ١٠٧– ١٣٤؛ ابن معيوف ١٤٣٠: ١٤؛ بودن وآخرون ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م: ٨١؛ رجب ١٣٩٩: ٩٠)

وتُعد تيماء إحدى المدن المهمة حيث كانت معبراً للطرق التجارية الدولية. ويبدو أن موقع تيماء على الطريق التجاري القديم بين الخليج العربي وخليج العقبة جعلها مركز ملتقى طرق التجارة بين شمالي الجزيرة العربية وجنوبيها. وقد أسهمت مراكز التجارة ومحطاتها في تنمية الطرق، حتى أصبحت تتحكم في القوافل التجارية التي تسلكها، إذ كانت

(ص ص ٧-١٨) ردمد ٨٩٤٧-١٣١٩



الخريطة ١: قرى تيماء

القوافل التجارية تتوقف بها للاستراحة والتزود بالمؤن والماء، لاستكمال رحلاتها القادمة من جنوبي الجزيرة العربية باتجاه الشمال، مروراً بالعلا والحجر ثم تيماء (الخريطة: ٢) (هاوسليتر ٢٠١٠: ٢٠٨- ٢٥١؛ الصفدي وآخرون ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م: ٢٥٦- ٢٥٧، ٢٦٩- ٢٧٢؛ مهران ١٤٢٧هـ: ٤٣٣- ٤٣٥، الأنصاري وآخرون ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م: ١٢-١٣).

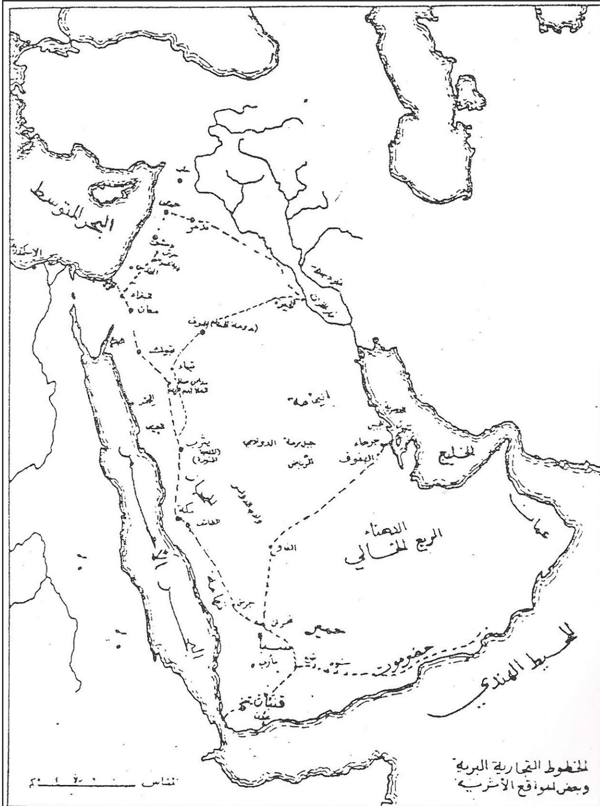
شهدت تيماء في الفترات والعصور التي سبقت ظهور الإسلام أدواراً حضارية وثقافية متعاقبة في الجزيرة العربية، وكانت مسرحاً لنشاطات إنسانية متحضرة لوقوعها في مثلث يمكن وصفه بالذهبي بين حوض بلاد النيل وبلاد الشام وبلاد الرافدين، وهي المناطق التي احتضنت الحضارات الكبرى في الشرق الأدنى القديم. (التيمائي وآخرون ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م: ٧٦- ٧٩؛ بودن وآخرون ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م: ٨٣).

والموقع والتضاريس الجغرافية لها أهمية كبيرة لأنها تعد من أهم العوامل المؤثرة تأثيراً بالغاً على حياة الإنسان وعلى نشاطه وتطوره ورقيه الحضاري والفكري والثقافي والاقتصادي عبر التاريخ، إضافة إلى تأثيرها على العوامل الجغرافية الأخرى مثل المناخ والموارد المائية وخصوبة التربة والثروات الطبيعية وغيرها، في توجه الطرق التجارية إلي تيماء، وأيضاً التحكم في اتجاه مساراتها.

ولعبت تيماء دوراً أساسياً في شبكة التجارة القديمة التي بالجزيرة العربية، إذ أسهمت محطات ومراكز التجارة في تنمية الطرق البرية، ما أدى إلى تحكمها في القوافل التجارية، الأمر الذي أدى إلى أن تتعرض إلى غارات وغزوات الشعوب المجاورة في الفترات التاريخية المختلفة (التيمائي وآخرون ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م: ٧٩؛ بودن وآخرون ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م: ٨٣- ٨٥).

الطرق التجارية البرية:

كان للطرق التجارية دوراً بارزاً في نشأة المدن في الجزيرة العربية، وتُعد تيماء من المدن الرئيسة، فقد أكسبها موقعها الجغرافي شمال غربي الجزيرة العربية دوراً حيوياً في التحكم بشبكة طرق القوافل التجارية



الخريطة ٢: الطرق التجارية البرية في الجزيرة العربية.
يحيى، لطفي عبدالوهاب، العرب في العصور القديمة: مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام.



اللوحة ١: خرطوش الملك رمسيس الثالث على واجهه صخرية بواحة تيماء.

القديمة. فهي تمثل مركز لهذه الشبكة المترابطة خلال أواخر الألف الثاني والألف الأول قبل الميلاد. إذ يرتبط بها ثلاثة مسارات للطرق التجارية بالجزيرة العربية، وذلك على النحو الآتي:

الطريق الأول: يبدأ من عدن وقنا في بلاد اليمن في جنوبي الجزيرة العربية، مروراً بمأرب ثم يتجه نحو نجران فالطائف ثم مكة ويثرب وخيبر والعلا (ديدان) ومدائن صالح (الحجر)، ثم ينفصل الطريق ليتجه فرع منه إلى واحة تيماء ومنها يتجه إلى بلاد الرافدين؛ أما الفرع الآخر فيستمر باتجاه الشمال إلى البتراء وغزة في أرض فلسطين متجهاً إلى بلاد الشام وبلاد النيل.

الطريق الثاني: يبدأ من جرها باتجاه الهفوف، ثم يتجه إلى شمال أرض اليمامة في نجد، ثم يتجه إلى الشمال الغربي موازياً لسلسلة جبال طويق، ثم يتجه غرباً إلى إقليم القصيم، ومنها إلى حائل ثم إلى تيماء، متجهاً إلى البتراء باتجاه بلاد الشام.

الطريق الثالث: يبدأ من منطقة حضرموت ومنطقة عمان متجهاً إلى إقليم اليمامة، مروراً عبر الطرف الشرقي من الربع الخالي صاعداً شمالاً إلى بلاد الشام وإما بلاد الرافدين، يلتقي بالطريق الشرقي وأيضا بفرع الطريق الغربي. (خارطة: ٢). (ديمانج ٢٠١٠: ١٢٢- ١٢٥؛ قروم ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م: ٢٧٥- ٣٠٤، ٣٠٩- ٣٤٨، ٣٧٩- ٣٨١؛ يحيى ١٩٧٩م: ٣٠٦- ٣٢٤؛ الأنصاري ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م: ٨٧؛ مهران ١٤٢٧هـ: ١١٧- ١٢٠؛ أبو العلا ١٩٧٢: ١٢٤- ١٢٧؛ مونرو ١٩٧٦: ٢٨- ٤٣؛ Huzayyin 1942:142; Amer 1925:126-140; Monroe 1976:11).

النقش

موقع النقش (وصف جغرافي):

عثر الباحث محمد بن سمير النجم على هذا النقش


اللوحة ٢: خرطوش الملك رمسيس الثالث على واجهه صخرية بواحة تيماء.

مدوناً على واجهة إحدى صخور موقع الزيدانية، الواقع إلى الشمال الغربي من محافظة تيماء بحوالي تسعين كيلو متراً تقريباً. ويفصل الموقع عن جبال البياضية وادي البياضية الذي ينحدر ليصب في محير ضبع الواقعة إلى الشرق من الطريق الواصل بين محافظة تيماء ومدينة تبوك. ويشرف موقع الزيدانية على منطقة فسيحة تتخللها الأودية والدروب.

ويمكن الوصول إلى الموقع بالسير مسافة خمسة وخمسين كيلو متراً تقريباً على الطريق التجاري القديم الذي يربط تيماء بتبوك، والذي يُعَدّ أقصر الطرق الرابطة بين المدينتين، فهذا الطريق يتجه ناحية الغرب من تيماء حتى منطقة جريدا، وبعد اجتيازها ينحرف الطريق باتجاه الجنوب، لتكون جبال المعيزيلة إلى الجهة الشمالية، ومن ثم يبدأ بالانحراف باتجاه الشمال حتى يصل إلى وادي البياضية؛ ومن خلال الفرع الأيمن للوادي يصعد الذاهب إلى المكان عبر ممر ضيق، والسير بمحاذاة جبال البياضية، نحو ثمانية كيلو مترات تقريباً للوصول إلى جبال الزيدانية حيث موقع النقش.

والمظاهر البيئية الطبيعية للموقع تتمثل في وفرة موارد المياه؛ المتمثلة في الأودية التي تحتفظ بالمياه في أجزاء منها، إضافة إلى الآبار المحفورة في وسط الأودية وعلى ضفافها. كما يوجد عدد من الكهوف الصخرية ذات الاتجاهات المختلفة، بعضها واسع من الداخل وبعضها خلاف ذلك. كما يوجد في أحدها بقايا حوض منحوت من الحجر، ويقع إلى الشمال الشرقي من النقش بنحو ٢٠٠م.

يشتمل الموقع على مظاهر أثرية متنوعة؛ حيث توجد به آثار لمبانٍ دائرية، وأكوام من الأحجار مختلفة الأحجام. كما تظهر على واجهات الصخور رسومات مختلفة المواضيع؛ منها رسومات بشرية، وأخرى حيوانية، جنباً إلى جنب مع رموز مختلفة. إضافة إلى وجود كتابات بالخط الثمودي، وكتابات أخرى بالخط النبطي.

وصف النقش:

في هذا المكان عثر على هذا النقش الفريد بالخط الهيروغليفي(1) على واجهة صخرية؛ وهو عبارة عن كتابة باللغة المصرية القديمة بالخط التصويري (الهيروغليفي)، على واجهة صخرية مميزة ترتفع عن سطح الأرض نحو المترين تقريباً، وقد كتب النقش بطريقة الحز، ويبلغ ارتفاعه نحو ٤٧سم تقريباً، وعرضه نحو ٢٣سم تقريباً (اللوحة: ٢). النقش في عمودين متجاورين، متناظرين متقابلين، تتجه رموز العمود الأيمن يسرةً، ورموز العمود الأيسر يمنةً. يتكون كل عمود من خرطوشة، فوقها كما بداخلها كتابة. أسفل العمودين معاً سطر أفقي بعرض العمودين، تتجه رموزه يميناً. لذلك فهو يقرأ من اليمين إلى اليسار. ومعظم العلامات التصويرية المتمثلة في أشكال الحروف داخل الخرطوشتين؛ ويبلغ طول الواحد منها نحو ٢٢سم تقريباً، والعرض نحو ١٠سم تقريباً. كما يلاحظ على الخرطوشتين أنهما متساويين في الأبعاد، وهيئتهما على قاعدتين



اللوحة ٣: خرطوش الملك رمسيس الثالث بواحة تيماء

متساويتين أيضاً. ونُفذ النقش بطريقة الحز.

إن كلمة خرطوشة العربية هي ترجمة للكلمة الفرنسية (Cartouche). وقد أطلق علماء الآثار نفس الاسم على ذلك الإطار الذي كتب بداخله كل من اللقب النسو بيتي وهو لقب التتويج، ولقب السا رع وهو اسم الميلاد لملوك مصر القديمة. وتُقرأ هذه العلامة شنو (šnw). وهو اسم بمعنى «دائرة، حلقة، إطار (دائري)»، مشتقة من الفعل شني (šnī) بمعنى «أحاط» بشكل دائري في الأصل، ثم صارت لكل إحاطة وإحتواء. ويبدو أن فكرة كتابة اسم الملك بداخل هذا الاطار جاءت من اعتبارهم أن الملك حاكماً لكل ما تحيط الشمس به. وهذا الإطار بيضاوي الشكل، ذو جانبين مستقيمين وله قاعدة مستقيمة (Gardiner 1994: 74). ومن المحتمل أن القصد الأصلي هو إحاطة الاسم بحبل لحمايته ووقايته من أي أذى.

قراءة النقش الهيروغليفي

النقش عبارة عن خرطوشتين للملك رمسيس الثالث ثاني الأسرة العشرين في الدولة الحديثة، حكم في القرن الثاني عشر قبل الميلاد خلال الفترة (١١٨٦-١١٥٤ق.م)، حكم نحو ٣٢ عاماً.

ويُعد هذا النقش نمطاً تقليدياً في تسمية الملوك المصريين[٢]، حيث يحتوي على أربعة أجزاء هي الرئيسة عادة، والمصطلح عليها كالآتي: (اللوحة: ٣)

نسو- بيتي «ملك الوجهين القبلي والبحري»

سارع «ابن رع» نسبةً إلى رع، المعبود الشمس عند قدماء المصريين.

اسم الملك، وهو اسم العائلة عادة، كما درج عليه المصريون منذ الدولة الوسطى المصرية.

وصف الملك.

ويُقرأ النقش على النحو التالي:

العمود الأيمن: وتتجه علاماته يسرة، ويقرأ من اليسار إلى اليمين، أفقياً فعمودياً، فوق الخرطوشة وداخلها.

فوق الخرطوشة وصف الملك بأنه نسو- بيتي «ملك الوجهين القبلي والبحري»، ونب- تاوي «سيد الأرضين/ البلدين»، هو ملك الصعيد والدلتا، وسيد البلدين»، وهذا هو لقب تتويج الملك.

داخل الخرطوشة اسم العرش ووصف الملك، هو وسر- ماعت- رع «ماعت ورع قويان» ووصفه بأنه مري- أمون «محبوب أمون».

العمود الأيسر

تتجه رموزه يمنة أفقيًا وعموديًا فوق الخرطوشة وداخلها.

فوق الخرطوشة وصف الملك بأنه سا- رع «ابن رع» نب خعو «سيد الظهور (ملكاً)» ويترجمها البعض «رب التاج»،



اللوحة ٤: نقش للملك رمسيس الثالث أثناء صيد الثيان البرية. (الصرح الجنائزي بمعبد مدينة هابو).

والقراءة الأفضل هي الأولى.

داخل الخرطوشة اسم الملك، اسم العائلة، وهو رع - مسسو (بالسين المضعفة) «رع هو الذي ولده». يليه وصفه بأنه حقا إيونو «ملك (حاكم) هليوبوليس (عين شمس)».

السطر الأفقي

تتجه رموزه يمنةً ويقرأ من اليمين إلى اليسار.

ويُقرأ: حقا عا «الملك العظيم» تا نب مري «محبوب كل البلاد».

يتشابه نقش الملك رمسيس الثالث بتيماء مع الخراطيش الملكية للملك رمسيس الثالث الموجودة على العديد من الآثار المصرية المؤرخة لعهد هذا الملك سواء في المعبد الإلهي الذي شيده لآمون ضمن مجموعة معابد الكرنك، أو في معبده الجنائزي في مدينة هابو، أو في مقبرته بوادي الملوك أو على تماثيله وغيرها من الآثار في عهده.

وفيما يلي نموذجان من موضعين مختلفين، والتي يمكن مقارنتهما بنقش رمسيس الثالث في تيماء، وهي كما يأتي:

ـ النموذج الأول:

وهو نقش يمثل الملك رمسيس الثالث أثناء صيد الثيران البرية، ويوجد على الجانب الخلفي للصرح الجنوبي للمعبد الجنائزي للملك رمسيس الثالث المعروف بمعبد مدينة هابو، ومسجل أسفل منها اسم الميلاد ولقب التتويج للملك رمسيس الثالث. ويتشابه اسم رمسيس في داخل الخرطوشين المكتشفة في تيماء مع ما هو مسجل في هذا النقش في معبد مدينة هابو (اللوحة: ٤).

(Seidel, M. and Schulz, R: 1997, p.198 fig. 94)

ـ النموذج الثاني:

وهو رسم ملون يمثل الملك رمسيس الثالث مصور على بردية هاريس (Harris Papyrus) بالمتحف البريطاني. ويتشابه لقباً رمسيس في تيماء مع ما هو مسجل على هذه البردية (اللوحة: ٥). (Clayton, P.A. 1994, p. 160 fig.)

(upper part of page)

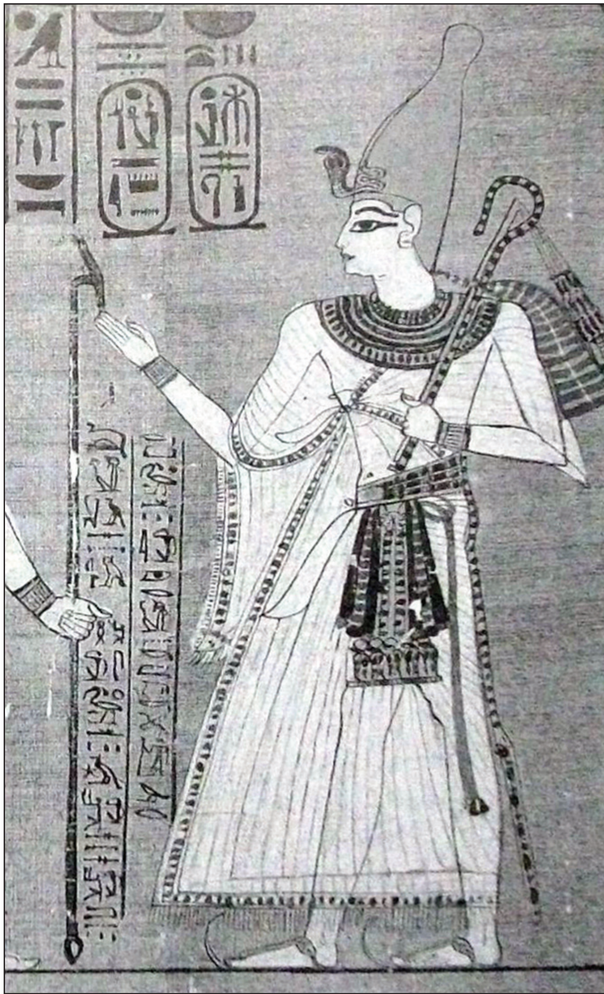
(ج) الملك رمسيس الثالث

الملك رمسيس الثالث (١١٨٦ – ١١٥٤ق.م) ثاني ملوك الأسرة العشرين في الدولة الحديثة في تاريخ مصر القديمة. انتقل الحكم من الأسرة التاسعة عشرة إلى الأسرة العشرين بتولي الملك «ست نخت» مقاليد الحكم، والذي حكم فترة تصل إلى العامين، بعدها توفي ودفن في مقبرة تاوسرت التي اغتصبها لنفسه لتكون المقر الأبدي له (توفيق ١٩٨٧: ٣٢٨-٣٢٩).

تولى الحكم رمسيس الثالث (وسر ماعت رع – حقا إيونو) بعد والده ست نخت، ويعتبره المؤرخون آخر فراعنة مصر العظام. ومنذ البداية اتخذ رمسيس الثالث من رمسيس الثاني مثلاً أعلى ونموذجاً يقلده ويحاكيه في اسمه وألقابه وكنياته وفيما شيده من معابد وما عليها من مناظر، وحافظت مصر في ظل حكمه وللمرة الأخيرة على تواجدها على الساحة السياسية بقوة في الشرق الأدنى القديم (صالح ٢٠٠٤: ٣٤٩؛ مهران ١٩٩٣: ٢٩٩؛ توفيق ١٩٨٧: ٣٢٩).

استمرت مصر في أوائل عصر الملك رمسيس الثالث محتفظةً بإمبراطوريتها الآسيوية، حيث عثر على تمثال له في منطقة بيسان، وتمثال آخر في منطقة مجدو، إضافة إلى بناء معبد للإله آمون في أرض فلسطين، كما كان لآمون تسع مدن يملكها في أراضي تلك البلاد، وترد إلى خزائنه الجزية التي كانت تقدمها تلك المدن (مهران ١٩٩٣: ٣٧٣-٣٧٤).

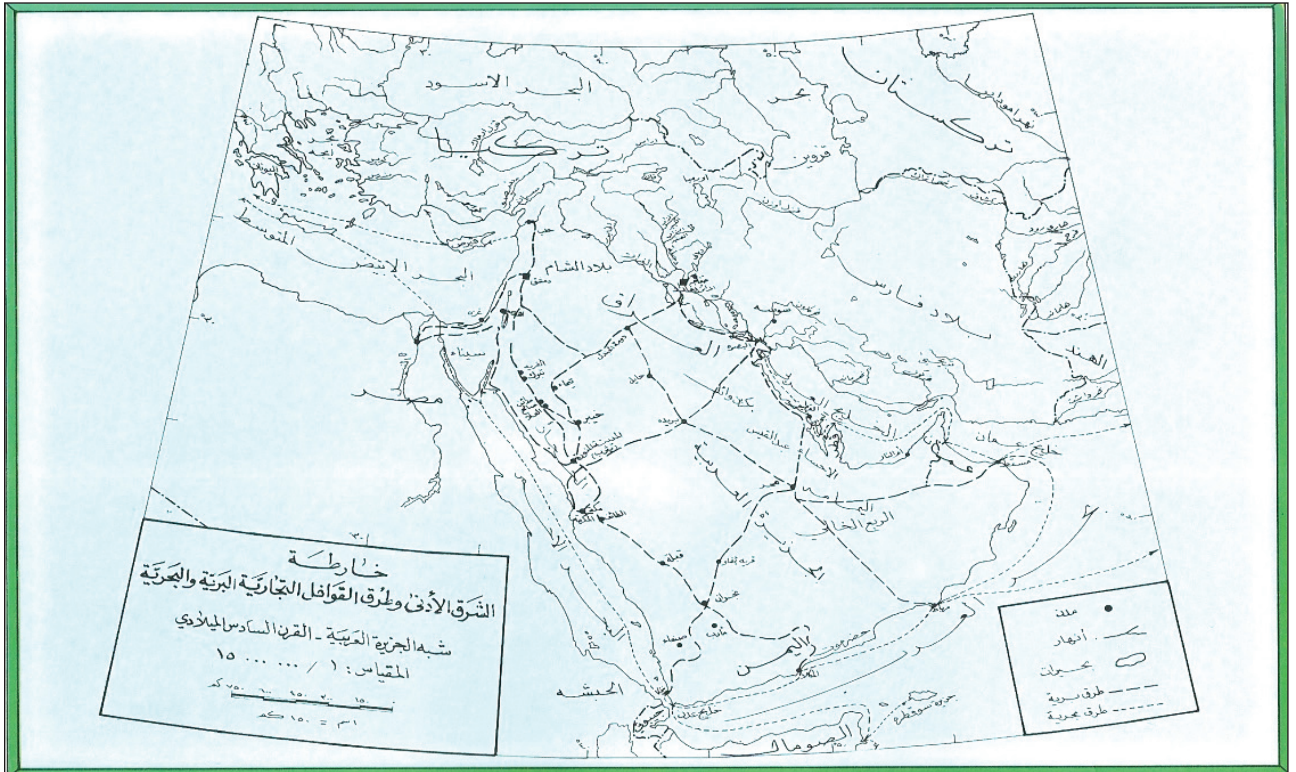
بدأ الملك رمسيس الثالث سنوات حكمه الأولى، وأخذ على عاتقه حماية مصر من الأخطار التي تهددها وتزعزع أمنها واستقرارها، فقد بدأت بتحرك هجرات جماعات شعوب البحر والشعوب الليبية التي انتشرت وراء الحدود في تحركات مريبة وتزحف إلى أرض مصر، ما اضطر رمسيس الثالث في العام الخامس من حكمه أن يتصدى بجيشه لهجرات الشعوب الليبية التي حاولت من قبل الاستيطان في بلاد مصر في عهد الملك مرنبتاح فترة الأسرة التاسعة عشرة، والذي استطاع أن يهزمهم ويطردهم شر طرده. حاولت جماعات الشعوب الليبية في عهد رمسيس الثالث أن تواصل زحفها وتعاود هجومها على غربي الدلتا وقامت بتخريب بعض مدنها. تمكن رمسيس الثالث من هزيمتها ووقف زحفها، والقضاء عليها، وسجل تفاصيل قتاله لهم بالكتابة والتصوير على جدران معبده الجنائزي بمدينة هابو بطيبة الغربية. ويعد معبد الملك رمسيس الثالث واحد من أهم وأكمل المعابد الجنائزية لملوك الدولة الحديثة في طيبة الغربية، وذلك لاحتفاظه بأغلب عناصره المعمارية من جهة إلى جانب احتفاظه بالعديد من نقوشه وصوره ذات الدلالات الدينية والسياسية والعسكرية من جهة أخرى. (جريمال ١٩٩١: ٣٦٢- ٣٦٣؛ توفيق ١٩٩٠: ٢١٧- ٢٢٧).



اللوحة ٥: يتشابه نقش ألقاب الملك رمسيس الثالث بتيماء مع ما هو مسجل على بردية هاريس بالمتحف البريطاني لرمسيس الثالث.

وفي العام الثامن من حكمه، خاضت مصر حرباً ضارية ضد أعدائها، فقد قاد الملك رمسيس الثالث جيوشه البرية والبحرية للدفاع عن مصر وحمايتها من جماعات شعوب البحر التي نزحت من آسيا الصغرى وجزر بحر إيجه حيث اجتاحت مملكة الحيثيين وقضت عليها. كانت هجرات شعوب البحر تتكون من شعوب مختلفة ومن ضمنها شعب البلست (الفلسطيين) وقد اشتهروا بوضع ريشة على الرأس، وشعب الثكر واشتهروا بوضع خوذة ذات قرنين. استمرت هذه الشعوب في زحفهم حيث خربوا شاطئ مملكة امورو، وقضوا على النفوذ السياسي لمصر في أراضي سوريا، ووصلوا إلى أرض فلسطين، ومنها وصلوا بالبر والبحر إلى مصر، فقد ركبوا سفنهم حتى وصلوا إلى مصبات النيل الشمالية الشرقية عن طريق البحر، واستطاع رمسيس الثالث أن ينتصر عليهم براً وبحراً، واستطاعت القوات المصرية أن تفرق جيوش الأعداء، وتقضي عليهم، وفي الوقت نفسه تمكنت القوات البحرية المصرية من القضاء على تجمعات العدو البحرية، فقد ذكرت النقوش المصرية هذه المعركة البحرية، وسُجلت على جدران معبد مدينة هابو. وتعد مناظر هذه المعركة الأولى من نوعها التي تصور المعارك البحرية بشيء من التفاصيل الدقيقة والمحددة في تاريخ الحضارة المصرية، ولم يسبقها في ذلك سوى ذلك المنظر المصور على مقبض سكين جبل العركي المحفوظ بمتحف اللوفر، والمؤرخ بعصر ما قبل الأسرات. إذ صورت عليه معركة بين أصحاب مجموعتين من المراكب ذات الخصائص المختلفة. استطاع رمسيس الثالث بهذا الانتصار أن ينقذ مصر من خطر كاد أن يقضي على بلاده. (صالح ١٩٨٧: ١٨٧؛ مهران ١٩٩٣: ٣٧٤- ٣٧٨؛ جريمال ١٩٩١: ٣٥٨؛ صالح ٢٠٠٤: ٣٥٠- ٣٥٢؛ Gilbert 2008: 7ff).

استمرت فترة حكم رمسيس الثالث نحو اثنين وثلاثين عاماً، استطاع خلالها أن يعيد للحضارة المصرية هيبتها وقوتها، وتوثيق صلاتها الحضارية مع جيرانها. كما شيد العديد من المباني من أهمها المعبد الذي شيده للإله أمون



خارطة ٣: طرق التجارية في الجزيرة العربية والشرق الأدنى
الصفدي، هشام، الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي.

رع جنوب الفناء الأول من معابد الكرنك، والذي يعد من الناحية المعمارية المعبد النموذجي لمعابد الآلهة في الدولة الحديثة (فكري ٢٠٠٩: ٤٦٣- ٤٨٢؛ توفيق ١٩٨٧: ٣٢٨- ٣٣٥؛ مهران ٢٠٠٠: ١٥٥- ١٧٢؛ مهران ١٩٦٩: ٩٠- ٩٣، ١١٣- ١٢٠، ١٣٢- ١٣٣، ٢٤١ ؛ ارمان ورانكه ١٩٥٣: ١٢٤؛ يويوت ١٩٦٦: ١٤٠؛ Kitchen 1964: 68-96; Gaballa 1969: 82-88; Kuentz 1928: 14; Wilson 1965: 259; Gardiner 1947: 189-190, 283, 285-287; Edgerton & Wilson 1963: 4-6, 13-32, 35-38, 41, 60, 77-80, 84; Wilson 1935: 77; Gardiner 1961: 287).

الخاتمة

نخلص مما سبق، أن أطراف العالم القديم تكاملت لإنشاء تبادل تجاري بين بلاد الشام وبلاد الرافدين من ناحية، وبين جنوب غربي الجزيرة العربية وشرقها، وشمالها، وبلاد مصر من ناحية أخرى. وبناء على ذلك، وجدت مناطق الإنتاج المختلفة، وأسواق الاستهلاك، وسكان الجزيرة العربية ووسيلتهم في السفر والترحال (الإبل) فيما بينهم وسطاء في النقل البري والتبادل التجاري. وبذلك نشأت الطرق والدروب لتسلكها التجارة عبر الجزيرة العربية، وأصبح جنوب غربي الجزيرة العربية مركز إشعاع وتواصل تخرج منه القوافل التجارية إلى شمالي الجزيرة العربية حتى تصل إلى مواطن الحضارة المجاورة سواء في بلاد الرافدين وبلاد الشام حتى الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وكذلك حول خليج العقبة إلى مصر (الخريطة: ٣).

أدت الطرق التجارية دوراً بارزاً في حضارة الجزيرة العربية خلال الفترات التاريخية المختلفة حيث كانت الطرق إحدى الأسباب والعوامل التي ساعدت على نشأة المدن والممالك العربية في الجزيرة العربية. كما يمكن الاهتداء غالباً لمعرفة الطرق التجارية القديمة بمعالم ثابتة؛ أهمها وجود مدن على تلك الطرق، ذات ارتباط تاريخي وسياسي في منطقة من المناطق، والجانب الآخر وجود النقوش والكتابات على تلك الطرق والتي تلقي الضوء على السمات الحضارية، التي تبرز الجوانب السياسية والاجتماعية واللغوية والثقافية والصلات الحضارية بين المجتمعات القديمة.

كانت تيماء خلال الألف الثاني قبل الميلاد إحدى المدن المهمة في الجزيرة العربية، حيث تمثل البوابة الشمالية للجزيرة العربية، وسوقاً للتجارة المتبادلة بين كل من الجزيرة العربية ومصر وبلاد الشام ووادي الرافدين.

إن وجود النقش الهيروغليفي للملك رمسيس الثالث يوحي بوجود طريق تجاري مباشر يربط حواضر شمال الجزيرة العربية ومنها واحة تيماء على الخصوص ببلاد النيل، يدل على التبادل التجاري المباشر بين مصر والجزيرة العربية، وأن قوافل التجارة المصرية كانت تفد إلى تيماء للتبادل التجاري بالبضائع والسلع النفيسة والثمينة التي اشتهرت بها أرض الجزيرة العربية؛ منها: أنواع البخور والمواد العطرية المختلفة وأنواع التوابل والسلع الأخرى.

تجيء أهمية العثور على اسم رمسيس الثالث منقوشاً على واجهة صخرية بالقرب من تيماء من كونه الأول في نوعه حيث لم يعثر حتى الآن على أسماء ملكية من مصر القديمة منقوشة على الصخور في أي مكان آخر بالجزيرة العربية -في حدود علم الباحث- بما تم الكشف عنه حتى الوقت الحاضر. وإن ما وجد من أسماء ملكية لملوك مصر القديمة مما عثر عليها في بلاد الشام، ولاسيما في جنوبي فلسطين وميناء جبيل بلبنان. كان وجود هذه الأسماء تؤخذ على أنها دليل واضح على وجود علاقات قوية وتأثيرات حضارية متبادلة. ومن ثم فإن وجود اسم رمسيس الثالث في تيماء له العديد من الدلالات، ومنها ازدياد أهمية تيماء كمحطة تجارية بالنسبة لمصر خلال عهد رمسيس الثالث بوصفها ملتقى لطرق التجارة بين مناطق الجزيرة العربية في الجنوب والغرب من ناحية وبين مناطقها الشرقية ووادي الرافدين من ناحية، ثانية، وبينها جميعاً وبين بلاد الشام ومصر من ناحية ثالثة؛ فقد كانت مصر خلال عهد رمسيس الثالث تتعرض لمشكلات وتهديدات خارجية، من أهمها هجمات شعوب البحر على مصر. فهل يمكن أن يؤخذ وجود اسم رمسيس الثالث في تيماء على أنه

دليل على رغبة الملك وأتباعه في التأكيد على وصولهم إلى هذه الأماكن من الجزيرة العربية، والتواصل المباشر مع سكانها؟

وهل يمكن أن يكون وجود اسم رمسيس الثالث في تيماء دليل على أن تيماء أصبحت سوقاً جديدة تلتقي فيها تجارات وادي الرافدين وبلاد الشام ووسط الجزيرة وجنوبها مع تجارة مصر؟ وقد يؤكد ذلك أن الآشوريين وفيما بعدهم البابليين مدوا سيطرتهم على تيماء لأهميتها الإستراتيجية، وليس أدل على ذلك من الرموز المنقوشة والرسوم المسجلة على حجر تيماء المكعب ودلالاته الحضارية. (دار الدائرة١٤٢٠هـ/ م٢٠٠٠: ١٢٦- ١٢٧؛ بودن وآخرون ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م: ٩٣- ٩٥).

إن اكتشاف النقش هذا يشكل نقطة تحول وإضافة جديدة في تاريخ العلاقات بين مصر والجزيرة العربية، إلى جانب ما عُثر عليه في السابق من وجود عدد من القطع الأثرية ذات الطابع المصري في العديد من الموقع الأثرية بمختلف مناطق الجزيرة العربية، سواء في بلاد اليمن (با سلامة ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م:١٩-٣١) أو المملكة العربية السعودية؛ ومنها مدافن جنوب الظهران في المنطقة الشرقية، وموقع الفاو (قرية ذات كهل)، عاصمة دولة كندة الواقعة وسط الجزيرة العربية في جنوب غربي هضبة نجد، وما وجد في تيماء أيضاً (الأنصاري ١٩٨٢م؛ السنان ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩؛ سيد١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م: ٣٥٣-٣٨٥).

إن اكتشاف هذا النقش يوحي بتواصل تجاري وحضاري بين الجزيرة العربية وبلاد النيل، إلى جانب ما قد تسفر عنه الاكتشافات الأثرية من خلال المسوحات الميدانية، وأعمال التنقيبات الأثرية في المستقبل وما تمدنا به من مزيد بالمعلومات عن حجم الالتقاء والتواصل الحضاري بينهما في القدم.

وما من شك أن الاكتشافات الأثرية بوجه عام تسهم بشكل عام في إبراز البعد الحضاري لشبه الجزيرة العربية وصلاتها الحضارية وعلاقاتها التاريخية بالحضارات الأخرى، إضافة إلى موقعها الجغرافي الذي كان عاملاً فاعلاً ومؤثراً ضمن عدة عوامل كانت سبباً في التقدم والازدهار والرقي الحضاري والثقافي الذي وصلت إليه، والدور الاقتصادي الذي لعبته في التواصل والتداخل والالتقاء والتبادل السلمي بينها وبين الحضارات المحيطة بها خلال الفترات التاريخية.

الهوامش:

(١) الخط الهيروغليفي: هو أحد خطوط كتابة اللغة المصرية القديمة التي تعددت خطوطها، فشملت إلى جانب الهيروغليفي الكتابة الهيراطيقية والديموطيقية والقبطية.

(٢) للمزيد عن الأسلوب لكتابة أسماء الملوك داخل الخراطيش وكيفية قراءتها، انظر: عبدالمحسن بكير، قواعد اللغة المصرية في عصرها الذهبي،القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٢،ص١٢،١١؛ جريمال، نيقولا، تاريخ مصر القديمة، مرجع سابق،ص٤٩٧-٥١١؛ Gardiner, A., Egyptian Grammar, Oxford, 1994, pp. 11-15, 71-76, 428-435; M. Collier, and B. Manley, How to read Egyptian hieroglyphs, London, 2001, pp. 20-22, 25-30, 126.

د. محمد بن عائل الذيبي: كلية السياحة والآثار، جامعة الملك سعود - الرياض - المملكة العربية السعودية

المراجع:

أولاً: المراجع العربية

الأنصاري، عبدالرحمن ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، «لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غرب الجزيرة العربية»، **مجلة الدارة**، العدد الأول، السنة الأولى، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب ١٩٨٢م، **قرية الفاو، صورة للحضارة العربية قبل الإسلام**، الرياض.

الأنصاري، عبدالرحمن؛ حسين علي أبو الحسن ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، **تيماء ملتقى القوافل، سلسلة قرى ظاهرة على طريق البخور** «٢»، دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض.

باسلامة، محمد عبدالله ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، «أبو الهول في الحضارة اليمنية القديمة»، **مجلة كلية السياحة والآثار**، جامعة الملك سعود، مج ٢٤، ع ١، الرياض.

بكير، عبدالمحسن ١٩٨٢، **قواعد اللغة المصرية في عصرها الذهبي**، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

بودن، جارث وآخرون ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، «برنامج حصر المعالم الأثرية في موقع تيماء القديمة"، **أطلال**، ع ٤ (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، الرياض.

التيمائي، محمد حمد سمير وآخرون١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، **آثار منطقة تبوك: سلسلة آثار المملكة العربية السعودية**- وكالة الآثار والمتاحف، الرياض.

دار الدائرة للنشر والتوثيق ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، **الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، كتاب الآثار**، م٢، دار الدائرة للنشر والتوثيق، الرياض.

ديمانج، فرانسواز ٢٠١٠، **طرق التجارة القديمة: روائع آثار المملكة العربية السعودية**، المجموعة الأوربية، ايطاليا.

رجب، عمر الفاروق السيد ١٣٩٩هـ، **الحجاز المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية: أرضه وسكانه**، دار الشروق، جدة.

السنان، مها بنت عبدالله ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، الفنون المعدنية في قرية الفاو دراسة فنية مقارنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، ، قسم الآثار، كلية السياحة والآثار، جامعة الملك سعود.

سيد، عبدالمنعم عبدالحليم١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، **الأصول المصرية القديمة لبعض المظاهر الحضارية في الجزيرة العربية قبل الإسلام، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني**، جامعة الملك سعود، الرياض.

صالح، عبدالعزيز ١٩٨٧، **حضارة مصر القديمة وآثارها**، الجزء الأول، القاهرة.

صالح، عبدالعزيز ٢٠٠٤، **حضارة الشرق الأدنى القديم: مصر والعراق**، ج١، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.

الصفدي، هشام وآخرون ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، **الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي**، مكتب التربية العربي لدول الخليج- الرياض.

أبو العلا، محمود طه ١٩٧٢، **جغرافية شبه جزيرة العرب**، الجزء الثالث والرابع، القاهرة.

فكري، وائل ٢٠٠٩، **موجز موسوعة مصر القديمة**، ج١، مكتبة مدبولي، القاهرة.

ابن معيوف، محمد معاضة ١٤٣٠هـ، **المجامر القديمة في تيماء**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

مهران، محمد بيومي ١٩٦٩، **مصر والعالم الخارجي في عصر رمسيس الثالث**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

مهران، محمد بيومي ١٩٩٣، **مصر والشرق الأدنى القديم: مصر**، الجزء٣، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

مهران، محمد بيومي ٢٠٠٠، **دراسات في تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

مهران، محمد بيومي ١٤٢٧هـ، **تاريخ العرب القديم**، ط٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

مونرو، اليزابيث ١٩٧٦، «الجزيرة العربية بين البخور والبترول»، ترجمة: محمود محمود، **مجلة الدارة**، العدد الأول، السنة الثانية، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

نايل، قروم ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م، **اللبان والبخور: دراسة لتجارة البخور العربية**، ترجمة: عبدالكريم بن عبدالله سحيم الغامدي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض.

هاوسليتر، أرنولف ٢٠١٠م، **طرق التجارة القديمة: روائع آثار المملكة العربية السعودية**، المجموعة الأوربية، ايطاليا.

يحيى، لطفي عبدالوهاب ١٩٧٩م، **العرب في العصور القديمة**، ط ٢، دار النهضة العربية، بيروت.

يويوت، جان ١٩٦٦، **مصر الفرعونية**؛ ترجمة ومراجعة: سعد زاهر وعبدالمنعم أبو بكر، القاهرة.

ثانياً: المراجع غير العربية

Altheim, F. & Stiehl, R.1968. **Die Araber in der Alten Welt**, Berlin.

Amer, A.1925. **The Ancient Trans-Peninsular Routes of Arabia**, Cairo.

Clayton, P.A. 1994. **Chronicle of the Pharaohs**, London.

Collier, M & B. Manley, B. 2001. **How to read Egyptian hieroglyphs**, London.

Edgerton, W.F. & Wilson, J.A. 1963. **Historical Records of Ramsses III**, Chicago.

Gadd, C.J. 1958. "The Harran Inscriptions of Nabonidus", **Anatolian Studies** 8, 1958.

Gardiner, A. 1947. **Ancient Egyptian Onomastica**, 3 Vols, Oxford.

Gardiner, A. 1961. **Egypt of The Pharaohs**, Oxford.

Gardiner, A. 1994. **Egyptian Grammar**, Oxford.

Gilbert, G.P. 2008. **Ancient Egyptian Sea Power and The Origin of Martime forces**, Austeralia.

Hitti, P.K. 1960. **History of the Arabs**, London.

Hastings, J.A. 1963. A **Dictionary of the Bible**, Edinburgh.

Huzayyin, S.A. 1942. **Arabia and the Far East**, Cairo.

Monroe, E.1976. "Arabia, From Incense to oil", **Addarah**, II, Riyadh, 1976, P.11.

Musil, A. 1927. **The Northern Nejd**, N.Y.

Musil, A. 1930. **In The Arabia Desert**, N.Y.

Olmstead,A. 1933. **History of Assyria**, Chicago.

Saleh, Abdel-Aziz 1970. **Some Monuments of North-Wesern Arabia in Ancient Egyptian Style**, Bull, of the Faculty of Arts, Cairo University.

Seidel, M. and Schulz, R. 1997, **Egypt**, Koeln 1997.

Smith, S. 1954. **Events in Arabia in the 6th Century A.D.**, BSOAS.

Wilson, J. 1935. **The Libyans and The End of The Egyptian Empire**, AJSL, LI.

Wilson, J.A. 1965. **The Culture of Ancient Egypt**, Chicago.

ثالثاً: مواقع الإنترنت:

http://www.aleqt.com/a/466434_132610.jpg
http://www.aleqt.com/2010/11/08/article_466434.html
http://www.alriyadh.com/2010/11/08/article575381.html
http://www.ksa-vib.com/up//uploads/images/domain-87ece54887.jpg